

Research Africa Reviews Vol. 3 No. 2, August 2019

These reviews may be found on the *RA Reviews* website at:

<https://sites.duke.edu/researchafrica/ra-reviews/volume-3-issue-2-august-2019/>

قراءة على كتاب رحلتي إلى الشيخ أحمد بمب طول الله عمره! لمامور امباكي حمدي، مطبعة المعارف الجديدة / الرباط – 2019. 206 صفحة.

Reviewed by: Bamba Drame, Dar El Hadith El Hassaniyya Institute, Rabat Morocco.

نحن أمام تجربة جديدة في تدوين سيرة الشخصيات الأفريقية.

فـ "الراوي" يقدم لنا نصاً، زواج فيه بين الخيالي والواقعي. وإن كان الواقعي قد أخذ الحظ الأوفر من النص. فالرواية راقية جذابة ومتسلسلة، مُزج فيها بين رسم السيرة الشخصية للشيخ الخديم، وبين التصوير الفني للسياق الزماني للفترة التي عاش فيها أبو المحامد (ت 1927) بمعظم خصائصها الاجتماعية والثقافية. بحيث كنتُ أتخيل، وأنا أقلب صفحات الرواية، أن عقارب ساعتني تعود بي القَهْقَرِي لأعيش تلك الفترة المركزية من بناء الهوية الإسلامية للمجتمع السنغالي ...

استغل الكاتب (الراوي)، في كتابه هذا، جملة من أدبيات المريدية التي سبقت إلى تدوين سيرة الشيخ الخديم كالمين (من الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم، للشيخ محمد البشير امباكي بن الشيخ أحمد بمب) والإرواء (إرواء الندي من عذب حب الخديم لمحمد الأمين جوب الدغاني) والنّفحات (النّفحات المسكية في السيرة البكية، للعلوي الشنقيطي) وغيرها.

علاوة على ذلك، فقد استثمر "الراوي" في نصّه هذا جملة من الروايات الشفوية التي لا تُحصَل إلا بمجالسة الكبار (فالشفوي أحد المكونات الأساس للتراث الإفريقي)، تلكم الروايات التي كانت، قبل أن يدونها الراوي، حبيسة إطار محدود، مضمونا بما عن غير أهلها، فأنقذها صاحب الرواية من لجة النسيان ومن آفة التزوير التاريخي؛ فمكننا منها، بعد أن ألبسها ثوب أسلوب عربي ممتاز.

قصة الكتاب:

القصة تدور في سنة 1925. و"بطل القصة" هو مصطفى غي، انحدر من مكان مجهول؛ اكتشف شخصية الشيخ أحمد بمب عن طريق منظومة موسومة بـ مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديمان، وهو من أحسن ما ألفه في علم التصوف والسلوك، جاءه الكتاب هديةً من أحد أصحاب أبيه.

لما طالع مصطفى هذه المنظومة، ملكت لبابه؛ فلم يكن منه إلا أن شد الرحال، وخاض المسالك ليصل إلى أنجربل [المدينة يطلق عليها جُربل، إلا أن التسمية التي استخدمتها هي الصحيحة الأصيلة]، حيث الإقامة الجبرية للشيخ أحمد بمب (منذ سنة 1912).

جاء بطل القصة مصطفى إلى أنجربل، وما إن نزل من القطار حتى جاءه فتى، يقول له: هل أنت مصطفى؟

قال: نعم!

قال: بُعثت إليك لاستقبالك ولكي أرافقك إلى الشيخ الذي رحلت من أجله. فتعجب، وحقاً له أن يتعجب، لأنه ما علم أحد بمجيئه ولا بوجهته قبل النزول من القطار! ومن ثم تبدأ له تجربة ربانية من أعجب ما يكون: مشاهد رهيبية؛ نفحات ربوبية؛ مجالس السمو والارتقاء؛ مكاشفات يومية؛ حواراً تتحول إلى عادات... باختصار: حياة كلها عجب في عجب! وفي ثنايا هذه القصص، ينثُ الكاتب الفلسفة التربوية للشيخ الخديم، رؤيته للحياة، والبراديعم الذي يتحكم في عيشته وفي منهجه الصوفي! فنحن بهذا العمل نشهد طرق باب جديد في تدوين سيرة المشايخ المحلية، وتقريب مناقبهم إلى جمهور القراء، خاصة الناشئة منهم؛ ولم نشهد بمثله قبل في التراث المحلي إلا عند الشيخ امباكي بص... لا يعاب على الرواية - على حد تقديري - إلا ما نلمسه في آخر الرواية من ضعف صناعة القصص. فكانت الأجزاء الأخيرة من الرواية معظمها عبارة عن استغلال أقوال شخصية القصة (الشيخ الخديم) في أحداث لم يظهر في تركيبها من البراعة مثل ما ظهر في مطلع الرواية! ولعل ذلك من أثر العياء والإرهاق النفسي الذي من المعهود أن يصيب الكاتب إذا لم يأخذ المسافة بينه وبين نصه، مسافة تكون طويلة أحياناً، لكي يعود الكاتب إلى أوراقه بنفس جديد. إلا أن هذه المثلبة لا تمنع أن يكون هذا العمل بمثابة مواكبة للجيل الصاعد في اختلاف ميولاتهم في القراءة والاطلاع. الأمنية أن يتم استغلال مثل هذه الطريقة لنشر تراث، والتعريف برجال كانت لهم تجارب ومحاولات في صناعة أفريقيا التي نريدها، ونأمل أن تكون.

Research Africa

Copyright © 2019 by Research Africa, (research_africa-editor@duke.edu), all rights reserved. RA allows for copy and redistribution of the material in any medium or format, provided that full and accurate credit is given to the author, the date of publication, and the location of the review on the RA website. You may not distribute the modified material. RA reserves the right to withdraw permission for republication of individual reviews at any time and for any specific case. For any other proposed uses, contact RA's Editor-in-Chief. The opinions represented in the reviews and published on the RA Reviews website are not necessarily those held by RA and its Review editorial team.